إضافات علماء التجويد القدامى:

وقد أضاف علماء العربية القدامي إلى هذه الأصوات الرئيسية المشهورة ستة أصوات هنَّ فروع، لأن أصلها من التسعة والعشرين. وهي: النون الخفيفة أو الخفية كالتنوين والنون التي تخفى عند الكاف والجيم، والنون التي تؤكد بها الأفعال لأن مخرجها من غير مخرج النون المتحركة، والنون الصحيحة السكون. والألف الممالة إمالة شديدة وهي ألف بين الألف والياء، لا هي الف خالصة ولا ياء خالصة، إنما هي ألف قريبة من الياء. من ذلك قراءة حمزة والكسائي في القرآن نحو (الهدى) و (العلا) و (أسارى). والألف المفخمة، وهي الف يقربها التفخيم من الواو. وقرأ بها ورش عن نافع نحو (الصلاة) و (مصلى) و (الطلاق). ولأجل الدلالة على تفخيم هذه الألف وتقريبها من الواو رسمت الألف في كلمة الصلاة في القرآن واواً (الصلوة). وينسب هذا التفخيم إلى أهل الحجاز. والصاد التي يخالط لفظها لفظ الزاي نحو (الزراط) في: الصراط، و (قزد السبيل) في: قصد السبيل. وهي ليست صادة خالصة ولا زاياً خالصة، وقد قرأ بها حمزة والكسائي في مواضع. والهمزة التي بين بين، وهي مخففة، وتكون بين الهمزة والألف نحو (رأى)، وبين الهمزة والواو نحو (يؤوس)، وبين الهمزة والباء نحو (سئيم). فهي ليست همزة محقّقة ولا حرفاً آخر خالصاً غير الهمزة. فهذه الأحرف الخمسة – كما يقول مكي بن أبي طالب – مستعملة في الكلام والقرآن كثيراً. ومخرج كل حرف من هذه الخمسة متوسط بين مخرج الحرفين اللذين اشتركا فيه. أما الحرف السادس فهو حرف لم يستعمل في القرآن، وهو حرف بين الشين والجيم، وأصله كاف المؤنث المكسورة التي يبدلها بعض العرب شيناً يخالط لفظها لفظ الجيم، نحو (غلامش) في : غلامك.

لكن سيبويه وابن جني اللذين سبقا إلى ذكر هذه الأصوات الفرعية وشرحها ذكرا أنها تكون في القرآن وفصيح الكلام، على حين أن مكيا – كما مر بنا – يخرج الصوت (الحرف كما يقول السادس من جواز النطق به في القرآن، ويجعله لبعض العرب. ويفهم من كلامه أن المقصود هو (الكشكشة)).

د- درجات الانفتاح :

رأينا أن الأصوات الصامتة توصف بالنظر إلى مكان النطق، أي المخرج، وهو ما أتينا على شرحه في الفقرة السابقة، وأنها توصف أيضا بالنظر إلى درجات الانفتاح وصفات النطق. فدرجات الانفتاح تتولد من وجود حبس أو تضييق في ممر الهواء. والحبس والتضييق كلاهما سبب إصدار الأصوات الصامتة، على حين أن عدم وجودهما، أي الحبس والتضييق سبب لإصدار الأصوات الصائتة. وبناء على ملاحظة درجات الانفتاح رب الأصوات العربية الصامتة على النحو التالي:

١- عندما يحدث انحباس تام للهواء نتيجة سدَّ المجري، ثم انطلاق فجائي يسرح الهواء يتولد الذي يدعى بالشديد. ولا بد حين إصدار هذا الصوت من المراحل التالية :

أ- اتصال عضوين من أعضاء النطق لسد مجرى الهواء وحبسه.

ب- توقف الهواء خلف حاجز السَّد والإغلاق.

ج- انفصال العضوين الحاصرين فجأة وتسريح الهواء.

ولذلك يدعي هذا الصوت أيضا بالوقفي أو الانفجاري أو الانحباسي. والأصوات الشديدة وفق الدرس الصوتي الحديث هي (ب، ض، د، ط، ت، ك، ق، همزة). أما الأصوات الشديدة عند اللغويين القدامى - وفي مقدمتهم سيبويه - فهي لا تختلف عمّا أوردناه إلا في أمرين هما وجود الجيم عند القدامى ضمن الأصوات الشديدة ، وهي عند المحدثين مركبة معطشة، وجعل الضاد في الأصوات الرخوة، وهي عند المحدثين شديدة كما رأينا.

٢- وحين يجد الهواء مجراه مضيَّقاً غير مسدود، فإنه يمر محتكَّاً بالعضوين اللذين سبّبا تضييق مجراه دون انفجار، ويسمى الصوت الذي يخرج بهذه الطريقة

بالرّخو، أو الاحتكاكي. والأصوات الرخوة حسب الدرس الحديث هي (ف، ظ، ذ، ث، ز، ص، س، ش، غ، خ، ع، ح، ه)". ويتجلى الاختلاف بين الدرسين الحديث والقديم هنا في أن القدامى أخرجوا صوت العين من الأصوات الرخوة وجعلوه متوسطاً، وادخلوا في الرخوة صوت الضاد الذي رأيناه ضمن الشديدة آنفاً. وهذا ما فعله سيبويه وابن جني ومكي بن أبي طالب". وهناك من علماء القراءات والتجويد من أضاف إلى الأصوات الرخوة أصوات الواو والياء والألف، على حين أن آخرين جعلوها ضمن الأصوات المتوسطة الثمانية (ل، م، ي، ر، و، ع، ن، ا)

٣- وهناك حالة مركبة من الانحباس الذي يولِّد الشدة، والتضييق الذي يولد الاحتكاك، تكون حين يحدث الانحباس لكنَّ الانفصال لا يكون سريعاً ومفاجئاً، بل بطيئاً، فيحتك الهواء الخارج من الحبس بالعضوين اللذين سبّبا ذلك الانحباس، وهما يتباعدان تباعداً بطيئاً.

ويدعي الصوت الصادر بهذه الطريقة بالمركّب (Afriquee) أو المعطّش او المتراخي، وهو صوت الجيم في العربية الفصحى. أما صوت الجيم المسموع الآن في اليمن والقاهرة، والذي يقابل الصوت الأجنبي (g) فهو صوت شديد.

٤- وإذا مرَّ الهواء بمجراه دون انحباس او احتكاك من أي نوع، لأن مجراه خالٍ من المعوقات أحدث صوتاً متوسطاً أو واسع الانفتاح، كما في صوتي الواو والياء الشبيهتين بالأصوات الصائتة. كذلك يحدث حين يتجنب الهواء في مجراه المرور بنقطة الحبس أو التضييق، كما في صوت اللام. ويماثل ذلك حين يكون تضييق غير مستقر على حال، كما في صوت الراء. ويحدث هذا التوشط أيضا حين لا يمر الهواء بالفم، بل بالأنف، كما في صوني الميم والنون. فهذه الأصوات (و، ى، ل، ر، م، ن) اصوات ليست شديدة ولا رخوة، إنما متوسطة. وقد عرف العلماء العرب القدامى هذه الصفة أي التوسط، وأضافوا إلى الأصوات التي رأيناها عند المحدثين صوت العين

هـ – صفات النطق:

أ- الصفات العامة

تعطي الطرق المختلفة للنطق بالأصوات الصامتة صفاتها الرئيسة كالجهر والهمس والإطباق والاستعلاء ونحو ذلك. ومن الملحوظ أن اللغويين العرب القدامى جعلوا مبحث الصفات عاماً شاملاً لدرجات الانفتاح ولكلٍّ ما يولّد صفة من صفات الحروف – بحسب مصطلحهم – سواء أكانت للصوامت أم للصوائت.

وينتج من حركة الوترين الصوتين الصفتان التاليتان :

١- النطق مع وجود ذبذبة في الوترين الصوتيين، ويولِّد صفة الجهر. والأصوات العربية التي تتصف بهذه الصفة هي (ب، م، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، ن، و، ي). ويبدو أن نقص معلوماتهم التشريحية هو سبب جهلهم بالوترين الصوتيين. وقد أشرنا في موضع سابق من هذا الفصل إلى أن بعض المتأخرين اقترب كثيرة من وصف الجهر الذي يولده الوتران اللذان هما جزء من الحنجرة، فقد وصف ابن البناء الجهر بأنه (ترديد الحنجرة).

٢- النطق مع عدم وجود ذبذبة في الوترين الصوتيين، ويولِّد صفة الهمس، والأصوات العربية المهموسة هي (ف، ث، س، ص، ت، ط، ش، ك، خ، ق، ح، هـ، همزة))، ومع أن عدد كل من الأصوات المجهورة والمهموسة يكاد يساوي الآخر، فإن نسبة ورود كل منهما في الكلام ليست كذلك. لأن الكثرة الغالبة من الأصوات اللغوية في كل كلام مجهورة. على حين أن الأصوات المهموسة لا يكاد يزيد شيوعها في الكلام على عشرين أو خمس وعشرين في المئة).